آراء وافكار

تعرف اخبار الناس

« وحب الاطلاع عليها »

جاء في كتاب (التراتيب الادارية) ان النبي صلى الله عليه وسلم « كان يسأل الناس عما في الناس » وليس هذا من التجسس المنهي عنه في الشرع ، وانما الغرض منه معرفة الخير والإحسان فيُزداد منهما ومعرفة الشر والإساءة فيحترز منهما ويحتاط لهما . وكان بعض الصحابة يخبر النبي (ص) بلز المنافقين فيقول : رحم الله موسى لقد أوذي باكثر من هذا فصبر . ولاريب انه يجوز بناء على هذا إخبار الامام بما يقال عنه . وهكذا كان لعمر عيون على الناس ينقلون اليه أخبارهم كما كان يفعل حذيفة بن اليمان في نقله أسرار المنافقين الى رسول الله (ص) . ومن اللطائف ماروي من ان (ابن غازي) احد علماء المغرب قد عين بعض أصحابه ان يكتب له كل ماجرى له في البلد وماقال وقيل من خميس الى خميس فيطالع ذلك . ويكون ذلك يوم الخميس الذي فيه تفرغ من التدريس . ورووا ان الحافظ ابا العباس المقري اتخذ — وهو مقيم في مصر — رجلاً بنفقته وكسوته ومايحتاج اليه على ان يذهب كل يوم صباحاً فيخترق البلد أسواقاً ومساجد ورحاباً وأزقة ، وكلما رأى امراً او سمع خبراً قصه على ابي العباس في الليل . وروى بعض تلاميذ ابي العباس (الدرعي) ان شيخه المذكور كان كثير السؤال والفحص عن أحوال الناس وفائهم في الأقطار والمدائن قال وكان يسألني عن ذلك كثيراً . فقلت في نفسي مرة : ما للشيخ وللاخبار ؟ لو اشتغل بصلاته وصيامه وسبحته كان أحسن له . قال فلقيني بعد ذلك بقريب وقال لي : المؤمن يسأل عن إخوانه وعن أحوالهم فمن كان منهم في خير دعا له بالزيادة والهناء ومن كان في شر وفقر دعا له بخير ورحمة . ويقال ان الشيخ الشعراني كان في تعرف أحوال الناس على قدم الشيخ الدرعي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وفي طبقات ابن سعد عن موسى بن طلحة قال : رأيت عثمان بن عفان والمؤذن يؤذن (يعني يوم الجمعة) وهو يحدث الناس يسألهم ويستخبرهم عن الأسعار والأخبار . ومن طريق آخر انه يجلس على المنبر فيؤذن المؤذن وهو يتحدث يسأل الناس عن أسعارهم وعن قوامهم وعن مرضاهم ثم يقوم فيخطب . اه

هذا وفي نشوار المحاضرة (جزئه الثاني) الذي مازال مخطوطاً خبر عن بعض رجال الدولة العباسية يدل على مبلغ عنايتهم بالاخبار وتقصي أحوال الناس وسيرهم قال :

حدثني محمد بن احمد بن عثمان الزيات قال حدثني ابو بكر بن حوري : شيخ كان من أهل خامية ؟ من أعمال النهروان قد أقام ببغداد سنين وكان مشهوراً بصحبة ابي عبدالله ابن ابي عوف قال : كنت ألزم ابن ابي عوف سنين لجوار بيننا ومودة . لا أسأله حاجة : لانها لم تكن تعرض لي وكنت أتخفف بين يديه في حوائج ينفذني فيها . وكان رسمي في كل ليلة أجيئه بعد العتمة وقد صلى ودخل منزله . فحين يراني يمد رجله في حجري فاغمزها وأحادثه فيسألني عن الاخبار والحوادث ببغداد . وكنت أسأل عنها وأتطلبها من كل موضع واجيئه بها وأخبره بخبر من قدم البلد ومن سافر عنه ومن مات ومن وُلد ومن خاصم ومن ورث ومن يُرجف به الناس وأخبار الجيران وبكل غث وسمين الى ان ينعس فاذا نعس قبض رجله فقمت الى بيتي وقد مضى ثلث الليل او بعضه او أقل . وجرى الامر على هذا سنين . فلما كان ذات يوم جاءني سقطي [1] كان يعاملني فقال قد دُفعتُ الى شيء ان تم لي افتقرت . فقلت ماهو ؟ فقال رجل كنت أعامله فاجتمع لي عليه الف دينار فطالبته فرهنني عقدَ جوهر قُوِّم بالف دينار لي ان يفتكّه بعد شهور او أبيعه . وأذن

(١) بائع السقط وهو الرديء من متاع البيت نحو الابرة والفأس والقدر :

وما للمرء خير في حياة اذا ماعد من سقط المتاع

اولعل صوابه السفطي (بالفاء) نسبة الى السفط وهو مايعبّي فيه الطيب وماأشبهه من أدوات النساء . ويكون المراد هنا بائع الطيوب وسائر الحاجات النسائية وهو المسمى في عصرنا بالافرنسية (nouveauté) وانما رجحنا ان يكون هذا هو المراد لان السفطي المذكور في هذا الخبر تجمّع له مع بعض عملائه الف دينار . والمتاجر بحاجات النساء وأدواتهن ووسائل تطريتهن — خليق بان يملك الألوف من الدنانير على العكس من بائع الابرة والفاس .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

لي في ذلك فلما كان امس وجه (مؤنس الفحل صاحب الشرطة) من كَبَسَ دكاني وفتح صندوقي واخذ العقد وقد استتر الرجل . فقلت له لا تفكر في هذا فاني أخاطب (اباعبدالله بن ابي عوف) فيلزمه رده صاغراً . قال وانا مُدِلٌّ بابن ابي عوف لمكاني منه . ومكنته من المعتضد (الخليفة) . فلما كان تلك الليلة جئته فمدّ رجله في حجري على الرسم . وحادثته وعرفته الأخبار وقلت له في جملتها أمر السقطي مع مؤنس (رئيس الشرطة) ثم قلت هذا الرجل جاري ومعاملي وأوجبُ الناس حقاً عليّ ولا بد والله من تفضلك ياسيدي واعتنائك في امره وإلزام مؤنس (رئيس الشرطة) رد العقد .

قال ما انا وهذا ؟ أعادي صاحب شرطة الخليفة ؟ وكيف استجرأتَ ان تعرّضني لمثل هذا وتسألني فيه ؟ وكأني بك وقد قلتَ ابن ابي عوف صديقي ألزمه رد هذا . ولم تُشفق على جاهي وكأنّ صلاح حال السقطي أحب اليك من صيانة جاهي . ما انا عافاك الله وهذا ولا اليه ؟ قال فورد عليّ من هذا أعظم مورد . وقلت في نفسي : هذا رجل قد خدمته كذا وكذا سنة هذه الخدمة التي لم تخدمها العبيد على اني ما سألته قط حاجةً ولا احتجت اليه في شيء ولا له عليّ رزق ولا إفضال يلقاني في حاجة قد سألته فيها بمثل هذا ؟ ! شهد الله لا دخلت له داراً بعدها ابداً . وامسكتُ وجلست لا أتكلم . ثم قمت قبل الوقت الذي كنت أقوم فيه . وعدت الى منزلي منكسراً مغموماً . فلما كان من الغد بكرتُ (١) لئلا يجيئني الرجل (السقطي) بسبب حاجته فأفتضح عنده . ولم أدخل ببتي الى وقت المغرب . ثم جئتُ فصليت وطرحت نفسي على سريري واعتقدت أنني لا أمضي اليه . فلما صليت العتمة جاءني خادم لابن ابي عوف فقال الشيخ يقرأ عليك السلام و يقول لمَ تأخرت الليلة ؟ ان كنت معافيً فتعال وان كنت متشكياً جئناك فاستحييت وقلت أمضي الليلة ثم أنقطع . فحين دخلت اليه ورآني مدّ رجله في حجري . فأخذتها وغمزتها على الرسم فقال ايش (٢) عندك من الأخبار ؟ فأقبلت أحدثه بحديث غثّ متكلّف متصنّع . فلم يزل يصبر على

---

(١) بكرت اي نزلت من داري باكراً .

(٢) ايش منحوتة من اي شيء وهي من كلمات عامتنا اليوم لكنها مع هذا كثيرة الاستعمال في كلام الفصحاء الاقدمين .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ذلك ساعة ثم قبض رجله فقمت فقال : يابابكر[١] انظر ايش تحت المصلّى[٢] واذا برقعة في قرطاس فأخذتها وتقدمت الى الشمعة واذا فيها: «يامؤنس جسرت على قصد دكان رجل» « تاجر يعرف بفلان وفتحت صندوقه واخذت منه عقد جوهر قيمته الف دينار وانا في الدنيا؟ » « والله لولانها اول غلطة غلطتها ماجرى في ذلك مناظرة[٣] . اركب بنفسك الى دكان» « الرجل (السقطي) حتى ترد العقد في الصندوق بيدك ظاهراً » .

فقلتُ لابي عبد الله ايش هذا ياسيدي ؟ فقال خطّ المعتضد (الخليفة) الى مؤنس (رئيس الشرطة) بما أردته : مثّلتُ بين وجدك وعتبك مع وزن بقاء الحال مع مؤنس رئيس الشرطة — كما هي — وبين رضاك وقضاء حقك وايحاش مؤنس فاخترتُك عليه فأخذتُ خط امير المؤمنين بماتراه . فامض وأوصله اليه فانه يفعل ما أمره به . فقبّلتُ رأسه وشكرته وانصرفت وانا من الفرح لا أعقل . وجئت الى السقطي واخذت بيده ومضينا الى مؤنس وسلّمت التوقيع اليه .

فحين قرأه اسودّ وجهه وارتعد حتى سقطت الرقعة من يده . ثم قال « يا هذا : الله بيني وبينك . هذا شيءٌ ماعلمتُ به وتموّه عليّ فألاّ تظلمتم اليّ فان لم أُنصفكم فالى الوزير . ماهذا ؟ بلّغتم الأمر الى امير المؤمنين من أول وهلة !! » قال وانتشطت[٤] فقلت « بعلمك جرى والعقد معك » قال : فأحضر العقد ، قال : خذوا الالف دينار التي عليه الساعة واكتبوا على الرجل (السقطي) بطلان مادعاه . فقلت لاتفعل . فقال خذوا الف وخمسمائة دينار . فقلت والله لو أعطيتنا الف الف دينار ما رضينا او تركب بنفسك الى الدكان والعقدُ معك فترده الى الصندوق ولانكذّب انفسنا . اوترد التوقيع . فقال أسرجوا لي قال : فركب والله في موكبه حتى وقف على دكان (السقطي) ورد العقد بيده الى الصندوق . فجاءنا صاحبه من ذلك اليوم ودفع الالف دينار وارتجعه . « المغربي »

(١) قوله يابابكر باسقاط همزة (أب) وكانوا قديماً يصنعون كذلك في همزة (اب) المنادى في لغتهم الدارجة وكذا اليوم في لغتنا . (٢) «المصلى» سجادة الصلاة حيث كان يصلي . (٣) ماجرى في ذلك مناظرة اي محاورة ومراجعة بل كنت أوقعت بك .

(٤) قوله فانتشطت (من الانشوطة) اي كأنني كنت موثقاً في أنشوطة حبل ثم حلّت عني واجترأت على الجواب .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net